قواعد وهدايات قرآنية من سورة إبراهيم

إعداد

د عبدالعزيز بن إبراهيم بن محمد اليحيى

أستاذ التفسير المساعد، قسم القرآن وعلومه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم، السعودية

yhy@qu.edu.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين الذي أرسله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو مصدر النور والهداية الربانية ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة إبراهيم:١] وهو موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة يونس:٥٧] هو الحبل المتين، والكتاب المبين، لا تنقضي عجائبه، ولا تنضب فوائده، ولا يَخْلَق على كثرة الردّ، والاشتغال به قراءة وتدبّراً وتفسيراً واستنباطاً وعملاً خيرُ ما بُذلت له الأوقات، وأُفنيت فيه الأعمار، وتنافس فيه الموفَّقون الأخيار.

والبحث في موضوع الهدايات القرآنية بحث رحب ثري بالغ النفع، يفتح فضاءً واسعاً للتدبر والاستنباط والاتعاظ والاعتبار والاهتداء بهدي القرآن الكريم وإرشاداته، فالهدايات القرآنية هي "الدلالة المبيّنة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير وتمنع من كل شر"[1] فهي تُركّز على بيان ما جاء في القرآن الكريم من إرشادات تهدي من فهمها وعمل بها لسعادة الدنيا والآخرة.

وحيث نظم مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة ملايا بماليزيا بالشراكة مع كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى مؤتمر مقدس (٨) والذي سينعقد بإذن الله خلال الفترة ٦-٧ ربيع الأول ١٤٤٠هـ الموافق ١٤-١٥ نوفمبر ٢٠١٨م بمدينة كوالالمبور- ماليزيا، وقد خُصِّص هذا المؤتمر لموضوع الهدايات القرآنية، ليكون باكورة انطلاقة مشاريع وأبحاث ورسائل علمية حول هدايات القرآن الكريم كاملاً بإذن الله تعالى، وهو ميدان رحب لا يزال غضّاً أمام الباحثين ؛ فأحببت أن أساهم في هذا الخير العظيم ببحث بعنوان: (قواعد وهدايات

---

(١) الهدايات القرآنية دراسة وتأصيل: ١/٤٤.

قرآنية من سورة إبراهيم) لأبرز جملة من القواعد والهدايات التي تضمنتها السورة الكريمة، فالوقوف مع هذه الهدايات ودقائقها يجعل المعنى عميقاً راسخاً في النفس، مؤثراً في الفؤاد، وهذه إحدى ثمار البحث في الهدايات القرآنية.

هدف البحث:

إبراز قواعد وهدايات قرآنية هامة منتقاة من السورة المحددة بطريقة ميسرة تُقرِّب فهم القرآن وتُعزِّز تأثيره على النفوس، وفق منهجية علمية.

منهج البحث:

المنهج المتبع في البحث هو المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

ابتدئ بذكر القاعدة، ثم أتبعها بالآية الدالة على القاعدة، ثم أذكر هدايات الآية المتعلقة بالقاعدة المذكورة، مستفيداً مما كتبه العلماء والمفسرون – مع عزوه لهم– مضيفاً ما يفتح الله به عليّ.

وفي الهدايات بعد كل قاعدة ما يُجلّي القاعدة المذكورة ويشرحها ويوضح المراد بها؛ مما يغني عن إفراد القاعدة بشرح مستقل، وقد التزمت في البحث آدابه وقواعده المعلومة.

وقد جاءت خطة البحث كالتالي:

التمهيد: ويتضمن:

١– اسم السورة وسبب تسميتها.

٢– وقت نزولها.

٣– مقاصد السورة.

القاعدة الأولى: القرآن الكريم هو مصدر النور.

القاعدة الثانية: المهمة الأساسية للرسل وورثتهم هي الدعوة إلى الله تعالى.

القاعدة الثالثة: الدعوة حق لكل الناس دون تمييز بينهم.

القاعدة الرابعة: الحق واحد والباطل متعدِّد.

القاعدة الخامسة: لا هداية إلا بإذن الله وتوفيقه.

القاعدة السادسة: استحباب الدنيا وتقديمها على الآخرة أصل من أصول الانحراف

والضلال.

القاعدة السابعة: الأصل أن يُدعى كل قوم بلغتهم.

القاعدة الثامنة: لا ثبات على الحق إلا بتثّبيت الله وتوفيقه.

القاعدة التاسعة: المؤمن يخاف من الوقوع في الشرك مهما بلغ إيمانه وصلاحه.

القاعدة العاشرة: طلب هداية العصاة مقدم على طلب عقوبتهم.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

أسأل الله أن ينفع به كاتبه وقارئه، ويجعله صواباً وذخراً.

كتبه

د عبدالعزيز بن إبراهيم اليحيى

١ صفر ١٤٤٠هـ

التمهيد:

ويتضمن: اسم السورة وسبب تسميتها، ووقت نزولها، ومقاصدها.

١- اسم السورة وسبب التسمية:

تُسمى سورة إبراهيم؛ لتضمنها قصة إبراهيم عليه السلام وإسكانه لأهله بواد غير ذي زرع، ودعائه وشكره لربه كما جاء مفصلا في آخرها، ولا يُعرف للسورة اسم غير هذا الاسم[١].

قال ابن عاشور: "ووجه تسميتها بهذا وإن كان ذكر إبراهيم عليه السلام جرى في كثير من السور أنها من السور ذوات (آلر) وقد ميز بعضها عن بعض بالإضافة إلى أسماء الأنبياء عليهم السلام التي جاءت قصصهم فيها، أو إلى مكان بعثة بعضهم وهي سورة الحجر؛ ولذلك لم تضف سورة الرعد إلى مثل ذلك لأنها متميزة بفاتحها بزيادة حرف ميم على ألف ولام وراء"[٢].

٢- وقت نزولها:

نزلت في العهد المكي، فهي مكية بلا خلاف بين المفسرين؛ إلا أن بعضهم استثنى آيتين منها، وهما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ **[سورة إبراهيم:٢٨-٢٩]** [٣].

٣- مقاصد السورة:

بيان وظيفة الرسل عليهم السلام وحرصهم على دعوة الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، في مقابل إعراض أقوامهم، تثبيتًا للنبي صلى الله عليه وسلم وتوعدًا للظالمين، وبيان أن هذا الكتاب العزيز مصدر النور وهو غاية البلاغ إلى الله، لأنه كافل ببيان الصراط الدال عليه المؤدي إليه.

وجاء التذكير بحال إبراهيم عليه السلام وقصته ودعائه بأمن البلد الحرام ورزق أهله، تثبيتاً للمؤمنين، وإنذاراً لمشركي مكة الذين تنزلت السورة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في

---

(١) ينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها: ٢٣٤.

(٢) التحرير والتنوير: ١٣/١٧٧.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٣/٣٢١، زاد المسير لابن الجوزي: ٢/٥٠٣.

أكنافهم؛ بأن إعراضهم عن دعوة الأنبياء يُعرضهم للعقوبات وسلب النعم التي يتقلبون فيها بدعوة إبراهيم عليه السلام، فيحل بهم ما حل بغيرهم[1].

القاعدة الأولى: القرآن الكريم هو مصدر النور.

قال تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾ [إبراهيم: ١].

وهذه القاعدة مع القواعد الأربع التالية كلها مستوحاة من هذه الآية الكريم، وهي قواعد مترابطة بعضها آخذ برقاب بعض؛ لذا سأذكر القواعد الخمس تباعاً، ثم أُردفها بذكر هدايات الآية المتعلقة بهذه القواعد في سياق واحد كما جاءت في آية واحدة.

القاعدة الثانية: المهمة الأساسية للرسل وورثتهم هي الدعوة إلى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾

القاعدة الثالثة: الدعوة حق لكل الناس دون تمييز بينهم.

قال تعالى: ﴿ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ ﴾

القاعدة الرابعة: الحق واحد والباطل متعدّد.

قال تعالى: ﴿ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾

القاعدة الخامسة: لا هداية إلا بإذن الله وتوفيقه.

قال تعالى: ﴿ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾

هدايات الآية المتعلقة بهذه القواعد:

١- ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ الله سبحانه نور، وكلامه نور، ومن أراد الحق والنور فعليه بهذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ضاماً له السنة النبوية فهي شارحة ومبينة ومكملة لما في كتاب الله من النور

---

(١) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٢/ ١٩٨، التحرير والتنوير: ١٣/١٧٧، المختصر في تفسير القرآن الكريم: ٢٥٥.

والهدى ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ **[سورة النحل: ٤٤]**.

٢-﴿ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ جاء النور بلفظ الإفراد لأنه واحد غير متعدِّد؛ فهو نور الحق والهدى والعلم والإيمان واليقين.

وجاءت الظلمات بلفظ الجمع؛ لإنها ظلمات متنوعة لا ظلمة واحدة، فهي ظلمة الكفر، وظلمة الشك والحيرة والاضطراب، وظلمة الضلال، وظلمة الجهل[١]، ودروب الزيغ والضلال متعددة متنوعة، وطريق الحق واحد لا غير ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال السعدي: "ذكر الله الظلمات بالجمع، لكثرة موادها وتنوع طرقها. ووحّد النور لكون الصراط الموصلة إلى الله واحدة لا تعدد فيها، وهي: الصراط المتضمنة للعلم بالحق والعمل به"[٢].

٣-﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ نورٌ يُبدّل وحشتَك أُنساً، وقلقَك طمأنينة، وجزعَك رضا، واضطرابَك سكينة، وحيرتَك إيماناً ويقيناً، نورٌ إذا أضاء بقلبك أشرقت له حياتك، نورٌ يملأ أركانك فيشرح صدرك، ويصلح شأنك، ويطيب عيشك، وكيف لا يكون كذلك وهو نور الله ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وكيف لا يكون كذلك وقد وعد الله أهله بالحياة الطيبة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ ﴾ [النحل: ٩٧] وكيف لا يكون كذلك وقد سمَّاه الله روحاً، وهل تستقيم حياة بلا روح؟ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢].

---

(١) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٢٦٢/٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣٣٨/٩.

(٢) تفسير السعدي: ٤٦٠/١.

٤-﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ حظك من النور بقدر حظك من القرآن قراءة وفهماً وتدبراً وعملاً، فكلما كان حظك منه أوفر كان نصيبك من النور أعظم؛ فمن تدّبره وعقَلَه زالت الظلمة من عينه فأبصر الأمور على حقائقها بيّنةً ناصعة، لا لبس فيها ولا غبش ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤] فتدبر القرآن بقصد طلب الهدى يرفع القفل عن القلب حتى يرى الحق ظاهراً جلياً.

٥-﴿إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ محالٌ أن يصيب الحق من جعل الكتاب والسنة وراء ظهره، واعتمد على عقله وعقول أمثاله من البشر.

٦-﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ كل من أعرض عن هدي القرآن فهو في الظلمات تائهٌ وإن ظن أنه يحسن صنعاً.

٧- ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ تقع الظلمة في قلب العبد بقدر هجره وإعراضه عن كتاب الله.

٨- ﴿ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ المهمة الأولى للرسل صلى الله عليهم وسلم دعوة الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وكذلك ينبغي أن يكون ورثة الأنبياء؛ فأهم المشاريع وأولاها وأعلاها منزلة ما شرَّف الله رسله صلى الله عليهم وسلم بحمله.

٩-﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ ﴾ كل الناس، الأبيض والأسود، العربي والأعجمي، الغني والفقير، الرجل والمرأة، الكبير والصغير، الأمير والمأمور، الشريف والوضيع، الوجيه والمدفوع بالأبواب.. كل الناس بلا استثناء، الجميع له حق في وصول الرسالة الربانية إليه بغض النظر عن لونه، أو شكله، أو جنسه، أو جنسيته، أو قبيلته، أو عمله، أو ماله.

١٠-﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ ﴾ ليراجع الداعية نفسه ونيّته حين ينشط لدعوة فئة دون أخرى لأسباب غير معتبرة شرعاً.

١١-﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ كم غارقٍ في الظلمات يحسب أنه يحسن صنعاً؛ حيث لم يبلغه هذا النور، أو بلغه لكن منعه من الانقياد له هوى نفس أو وسوسة شيطان أو عقائد وعوائد باطلة ورثها أباً عن جد؛ فهلاّ يداً حانية تتلطف به حتى تُوقفه على

النور الرباني فتفوز بالثواب الموعود في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا"(١).

١٢- ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ ما وضعت قدمك على طريق النور والهداية إلا بإذن الله وتوفيقه، تأمل قوافل الأمم الضالة وفيهم أذكياء لم يأذن الله بهدايتهم ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٣٣] فاحمد الله على أن هداك.

ومن الشعر الذي ارتجز به النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا(٢)

١٣- ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أكثر من الدعاء لمن تحب هدايته؛ فلا هداية حتى يأذن الله بذلك.

١٤- ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ الهداية شأن رباني؛ فالله أعلم حيث يجعل هدايته ونوره؛ فابذل الأسباب الشرعية واستفرغ الجهد في دعوة الناس إلى هذا النور؛ ولا تقلق ولا تحزن حين لا يهتدي أحدهم فلو علم الله فيه خيراً لهداه ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ [الرعد: ٢٧] ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٣] وقد نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن الحزن على عدم هدايتهم فقال: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ [فاطر: ٨].

١٥- ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ ليطمئن متبعو هذا النور الرباني فهو صراط العزيز الذي لا يُغلب، ومن سلكه فهو عزيز بعز الله، قوي ولو لم يكن له أعوان وأنصار، فالله مؤيده وناصره، وهو صراط الحميد المحمود في كل شيء، ومن سلكه فهو محمود في أموره كلها في الدنيا والآخرة(٣).

---

(١) أخرجه مسلم: ٤/٢٠٦٠ رقم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه البخاري: ٥/١٠٩ رقم (٤١٠٤).

(٣) ينظر: تفسير السعدي: ٢/٨٣٩، التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٣/١٨١.

القاعدة السادسة: استحباب الدنيا وتقديمها على الآخرة أصل من أصول الانحراف والضلال.

قال الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ **[سورة إبراهيم:٣]**.

هدايات الآية المتعلقة بالقاعدة:

١- بعد ذكر الله للنور الذي تدعو إليه الرسل ذكر الفريق الرافض لهذا النور المحارب له وهم الكافرون،

وقد كانت أول صفة ذكرها الله لهذا الفريق الرافض لنور الهداية: استحباب الدنيا وتقديمها على الآخرة؛ مما يؤكد على كبير أثرها وعظيم خطرها.

٢- إن تقديم الدنيا وإيثارها على الآخرة أصل من أصول الانحراف والضلال؛ فهو يدفع صاحبه للانحراف الفكري؛ حيث تملأ الدنيا فكره وقلبه ويستغرق فيها حتى يرى أنها كل شيء، وأن ليس وراءها شيء فلا بعث ولا حساب.

٣- وتقديم الدنيا على الآخرة يحمل صاحبه أيضاً على الانحراف السلوكي ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فلم يكتفوا بضلالهم الشخصي؛ بل أتبعوه بضلال آخر هو صد الناس عن سبيل الله.

٤- ويحمله كذلك على انحراف الإرادات والنيات ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ فالمقاصد والنيات داخَلَها الهوى حتى اعوجت، فهي أبعد ما تكون عن النزاهة والتجرد والاستقامة.

قال القرطبي: " ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يطلبون لها زيغاً وميلاً لموافقة أهوائهم، وقضاء حاجاتهم وأغراضهم"[١].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٩/٣٤٠.

٥- إيثار الدنيا على الآخرة يحمل صاحبه إذا تمكن من قلبه على ضلال كبير؛ فهي انحرافات متعددة فكراً وسلوكاً وإرادة، جعلت صاحبها بعيد كل البعد عن الحق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾.

٦- أصل البلاء كان من الهوى المتمثل هنا باستحباب الدنيا وإيثارها على الآخرة.

٧- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ يشتد الانحراف بصاحبه بقدر تعظيم الدنيا في قلبه وإيثارها على الآخرة؛ فكلما كان متغلّغلاً في النفس كان الانحراف أشد.

٨- وعكس ذلك فالنور وإصابة الحق رأياً وسلوكاً وإرادة هي لمن آثر الآخرة على الحياة الدنيا واستعلى على شهواتها وملذاتها، وكلما كان المرء من الآخرة أقرب كان حظه من التوفيق قولا وفعلا أعظم وأوفر.

٩- العالِم المقبل على الآخرة المعظِّم لها قولُه وفتواه أقرب لإصابة الحق من العالِم المماثل له في الرتبة العلمية وحظه من تعظيم الآخرة والإقبال عليها أقل.

١٠- ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ المحبة أمر قلبي، ويستفاد منه أن الذم متوجه لاستيلاء الدنيا على القلب وتعظيمها في النفس، أما من كانت الدنيا بيده لا بقلبه؛ وقلبه عامر بذكر الله، معظّم لأوامره وشريعته، مستعملا للدنيا في طاعة ربه ومولاه فليس داخلا في الذم، وقد كان عدد من المبشرين في الجنة من الصحابة من الأثرياء كأبي بكر الصديق وعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم وأرضاهم، وفي حديث ابن مسعود المتفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا "[1].

١١- ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ تشمل كل نعيم دنيوي آثره المرء وطلبه من غير نظر للآخرة، من مال أو منصب أو جاه أو غير ذلك.

قال السمعاني: " ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ معناه: الذين يؤثرون

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: ٦٢/٩ رقم (٧١٤١) ومسلم: ٥٥٩/١ رقم (٨١٦).

الحياة الدنيا على الآخرة، ومعنى الإيثار: هو طلب الدنيا من غير نظر للآخرة"[1].

وفي حديث ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»[2].

القاعدة السابعة: الأصل أن يُدعى كل قوم بلغتهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ **[سورة إبراهيم: ٤]**.

هدايات الآية المتعلقة بالقاعدة:

١- الأصل أن يُدعى كل قوم إلى الحق بلغتهم؛ فالله تعالى لم يرسل رسولا إلى قوم إلا بلغتهم؛ ليسهل عليهم فهم الرسالة واستيعابها على وجهها الصحيح، وليكون أدعى للقبول والامتثال وأبلغ في قيام الحجة عليهم[3].

---

(١) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني: ١٠٣/١.

(٢) أخرجه الترمذي ٥٨٨/٤ رقم (٢٣٧٦) وأحمد: ٦٢/٢٥، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) قال أبو السعود: " (لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) ما أمروا به فيتلقوا منه بيُسر وسُرعة ويعملوا بموجبه من غيرِ حاجةٍ إلى الترجمة ممن لم يُؤمر به، وحيث لم يمكن مراعاةُ هذه القاعدة في شأن سيدنا محمدٍ صلَّى الله عليهِ وسلم وعليهم أجمعين؛ لعموم بعثتِه للثقلين كافةً على اختلاف لغاتِهم، وكان تعددُ نظمِ الكتاب المنزل إليه حسب تعددِ ألسنة الأممِ أدعى إلى التنازع واختلافِ الكلمة وتطرّقِ أيدي التحريف" (إرشاد العقل السليم امزايا الكتاب الكريم: ٣٢/٥) فأُرسل نبينا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة بلسان قومه، وهم الذين خاطبهم أولاً وبيّن لهم الرسالة "فإذا بيّن لقومه ما أراده حصل بذلك المقصود لهم ولغيرهم؛ فإن قومه الذين بلّغ إليهم أولا يمكنهم أن يبلغوا عنه اللفظ، ويمكنهم أن ينقلوا عنه المعنى لمن لا يعرف اللغة، ويمكن لغيرهم أن يتعلم منهم لسانه فيعرف مراده، فالحجة تقوم على الخلق ويحصل لهم الهدى بمن ينقل عن الرسول: تارة المعنى، وتارة اللفظ؛ ولهذا يجوز نقل حديثه بالمعنى، والقرآن يجوز ترجمة معانيه لمن لا يعرف العربية باتفاق العلماء". (الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيمية: ٥٤/٢).

٢- كل ما توقف بيان الرسالة الربانية عليه فتعلُّمه واجب كفائي على الأمة.

قال ابن عثيمين: "تعلَّم اللغة التي يُدعى بها إلى الإسلام إذا أردنا أن ندعو من لا يعرف العربية فرض كفاية، كما أن الدعوة إلى الإسلام فرض كفاية.. وهل يمكن الآن أن أجلس بين عشرة من غير العرب وأتكلم بأرقى الفصاحة والبيان باللغة العربية ماذا يفهمون؟ لا شيء"(١).

٣- "يستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبيين كلامه وكلام رسوله أمور مطلوبة محبوبة لله؛ لأنه لا يتم معرفة ما أنزل على رسوله إلا بها، إلا إذا كان الناس بحالة لا يحتاجون إليها، وذلك إذا تمرنوا على العربية، ونشأ عليها صغيرهم وصارت طبيعة لهم فحينئذ قد اكتفوا المؤنة، وصلحوا لأن يتلقوا عن الله وعن رسوله ابتداء كما تلقى عنهم الصحابة رضي الله عنهم"(٢).

٤- تعلُّم فنون البيان والبلاغة لأي لغة في العالم لغرض الدعوة وبيان الحق أمر محمود مطلوب؛ لأنه أبلغ في إيصال الرسالة لهم ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾.

٥- تيسير التعلم والفهم سمة من سمات الشرائع السماوية؛ إذ كل رسول بلّغ قومه بلسانهم(٣).

٦- كل وسيلة تعليمية أو دعوية -خالية من المحاذير- تُيسِّر تلقي الشريعة وفهمها فهي مطلوبة محمودة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ يدخل في ذلك مبتكرها وممولها ومنفِّذها والدال عليها وكل من ساهم فيها.

٧- المعلُّم الذي يختار الطريق الأصعب في إيصال علم الشريعة لطلابه مخالف للمقصود الرباني في تيسير فهم الرسالة.

القاعدة الثامنة: لا ثبات على الحق إلا بتثّبيت الله وتوفيقه.

---

(١) لقاء الباب المفتوح: ٥٤٧/٦ رقم اللقاء ١٤٢

(٢) تفسير السعدي: ٨٤٠/٢.

(٣) ينظر: القرآن تدبر وعمل: ٢٥٥.

قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ **[سورة إبراهيم:٢٧]**.

هدايات الآية المتعلقة بالقاعدة:

١- ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ﴾ الثبات على الدين توفيق وفضل من الله وحده تعالى، وهي نعمة عظيمة تستحق الحمد والشكر، وبالشكر تدوم النعم وتزيد.

٢- ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ما من عبد مؤمن مهما بلغت رتبته في الدين واليقين إلا وهو محتاج لتثبيت الله، وكيف يأمن العبد على نفسه الفتنة وقد قال الله لحبيبه وصفوته من خلقه صلى الله عليه وسلم ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ **[سورة الإسراء:٧٤]** ؟.

٣- ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ﴾ إذا كان التثبيت من الله وحده فليتبرأ العبد من حوله وقوته، وليعلّق قلبه بربه فلا حول ولا قوة إلا بالله، فكم ممن أمسى مؤمناً وأصبح كافراً، وكم ممن أصبح في عداد الصالحين وأمسى وهو في صف الفاسقين نسأل الله العافية.

قال ابن القيم: "تحت هذه الآية كنز عظيم، من وفّق لمعرفته وحسن استخراجه واقتنائه وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حرم، وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين، فإن لم يثبته الله وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما"(١).

٤- ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ﴾ الدعاء من أعظم وسائل الثبات؛ لأنه سؤال للكريم الذي يملكه ويتفضل به، وقد كان خير الخلق صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء بالثبات كما هو مشهور، وأخبر الله عن العلماء الراسخين في العلم والإيمان بأنهم يلهجون ويتضرعون لربهم ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ **[سورة آل عمران:٨]** فليكثر الموفق من الدعاء ولينطرح بين يدي مولاه متضرعاً مستكيناً إليه يسأله الثبات في الدنيا والآخرة.

---

(١) التفسير القيم: ٣٤٦.

٥- ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أوفر الناس حظاً بتثبيت الله وتوفيقه هم أوفرهم حظاً من الإيمان، فالكريم تعالى أخبر أنه يثبّت أهل هذا الوصف (الإيمان) فأعلاهم إيماناً أعلاهم تثبيتاً من الله، والطاعات والعبادات القلبية والبدنية تزيد الإيمان فيزيد التثبيت والتوفيق من الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦﴾ **[سورة النساء:٦٦]**، والذنوب والمعاصي تُضعف الإيمان وتُنقصه فيضعف التثبيت والتوفيق ويتسلط الشيطان، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ ﴾ **[سورة آل عمران:١٥٥]**.

٦- ﴿بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾ إنه قول الحق الذي ثبت في قلوبهم وتمكّن فيها، واطمأنت إليه نفوسهم، وأعلاه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله[١]، ثبت الإيمان في قلوبهم وتمكّن فجزاهم الله وأكرمهم بأن ثبّتهم وزادهم وجعل ثباتهم مستمراً في الدنيا والآخرة؛ ومن فعل الأسباب لتثبيت الإيمان في قلبه ثبّته الله[٢].

٧- ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يثبتهم الله في الحياة الدنيا عند عواصف الشبهات المضلة بالهداية إلى اليقين، وعند عواصف الشهوات الفاتنة بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومرادها[٣].

٨- ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ تثبيت الله لهذه الفئة الموفقة شامل لكل أحوالهم، فهو تثبيت أمام فتن الرخاء وإقبال الدنيا وشهواتها وملذاتها، وتثبيت أمام فتن الشدائد والمصائب والكروب، وتثبيت على الأعمال الصالحة والمداومة عليها.

٩- ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ وتثبيت الله لهذه الفئة الموفقة شامل لجميع مراحل حياتهم حتى الممات؛ حين تحين اللحظات الحاسمة العصيبة التي يخشاها المتقون؛ حين تقعقع النفوس وتحشرج الأرواح وينكشف الغطاء، فلا يبقى إلا رحمة رب الأرض والسماء، فيثبّتهم الله بحسن الخاتمة

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٥٨٩/١٦، التفسير القيم: ٣٤٦، التفسير المحرر للقرآن الكريم: ٣٣٥/١٢.

(٢) وينظر: التفسير الكبير للرازي: ٩٣/١٩ .

(٣) ينظر: تفسير السعدي: ٨٤٩/٢.

والنطق بكلمة التوحيد لا إله إلا الله،؛ بل يُنزل الرحيم عليهم ملائكة تُطمّئنهم وتُبشّرهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ **[سورة فصلت: ٣٠]**.

فما أكرم هذا العطاء، وما أجمل هذه البشارة، وما أعذب وأحلى هذا اللطف من الرب الرؤوف الكريم، نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنّه وفضله.

١٠- ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وتثبيت الله لهذه الفئة الموفقة ولطفه بها يمتد حتى الآخرة، في ذلك الموقف الموحش الذي لم يعهده الإنسان من قبل، حين يوضع في قبره، ويتولى عنه أهله وولده وأحبابه، فيسأله الملكان أسئلة سهلة يسيرة؛ عن ربه ودينه ونبيه؛ غير أن الجواب في ذلك الموقف المهول العصيب غير يسير؛ فلا ينطق اللسان إلا بما استقر ووقر في الجنان، فيثبّت الله المؤمن للقول الصحيح فيفلح وينجو[1].

القاعدة التاسعة: المؤمن يخاف من الوقوع في الشرك مهما بلغ إيمانه وصلاحه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ **[سورة إبراهيم: ٣٥-٣٦]**.

هدايات الآية المتعلقة بالقاعدة:

١- المؤمن مهما بلغت منزلته في الإيمان يخاف أن يقع في الشرك، فهذا خليل الرحمن عليه السلام وهو من هو في المنزلة والمكانة، وقد حطّم الأصنام بيده متحدياً قومه، وحاجهم وناظرهم في جدوى عبادتها فحجّهم وغلبهم، يقول ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ فكيف بغيره؟.

قال إبراهيم التيمي: "من يأمن البلاء بعد خليل الله إبراهيم حين يقول: ربّ ﴿وَٱجْنُبْنِى

---

(١) أكثر المفسرين على هذا القول بأن المراد بتثبيت الآخرة التثبيت عند فتنة القبر. ينظر: تفسير القرآن للسمعاني: ١١٥/٣.

﴿وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ "[1].

٢- قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف شاء، فلذا كان الخوف من الوقوع في الشرك يقظاً في قلوب المتقين، فالعاقل لا يأمن الفتنة ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـًٔا قَلِيلًا ٧٤﴾ **[سورة الإسراء: ٧٤]**.

٣- انتشار الباطل وكثرة أهله المتردّين في دركاته المعجبين بضلالاته تجعل الخوف يزداد في قلب المؤمن من الوقوع فيه واستحسانه ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [2] فإن الكثرة قد تؤثر في النفس ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ **[سورة المائدة: ١٠٠]**.

٤- التضرع لله والبراءة من حول النفس وقوتها من أهم أسباب البعد عن الشرك؛ لذا تضرع إبراهيم عليه السلام لربه ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾.

٥- كما يدعو الموفق لنفسه فليحرص على الدعاء لذريته، فهم خلفه وامتداده ووارثو دينه ودعوته وبهم تتعاظم حسناته ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ وبصلاحهم تقرّ عينه ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾ **[سورة الفرقان: ٧٤]** ولن تقرَّ عين المؤمن في ولده بشيء أعظم من صلاحه.

٦- الدعاء بأمن البلاد يدل على أهمية الأمن واعتباره مطلباً أساسياً شرعياً، ولما دعا إبراهيم عليه السلام بالأمن من فساد الأموال والأبدان؛ أتبعه بالدعاء بالأمن من فساد الأديان فقال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [3] وتقديم الدعاء بأمن البلد على الدعاء باجتناب الأصنام لأنه يمثّل البيئة المطمئنة التي يستقر فيها الناس في البلد وينطلقون لعبادة ربهم والدعوة لدينه؛ ولأنه إذا انتفى الأمن لم يفْرغ الإنسان لشيء آخر من أمور الدين والدنيا[4].

---

(١) تفسير الطبري: ١٧/١٧.

(٢) ينظر: تفسير السعدي: ٨٥٢/٢، التحرير والتنوير لابن عاشور: ٢٣٩/١٣.

(٣) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: ٤٢٥/١٠.

(٤) ينظر: فتح القدير للشوكاني: ١٣٤/٣.

القاعدة العاشرة: طلب هداية العصاة مقدم على طلب عقوبتهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ **[سورة إبراهيم: ٣٥-٣٦]**.

هدايات الآية المتعلقة بالقاعدة:

١- قدّم إبراهيم عليه السلام في دعائه طلب الرحمة بالعصاة بالتوبة عليهم وهدايتهم على طلب عقوبتهم وعذابهم.

٢- قلوب الأنبياء تفيض رحمة وشفقة بالمدعوين؛ فلم يقل إبراهيم عليه السلام: (ومن عصاني فإنك شديد العقاب) مع كونهم عصوه بالكفر لا فيما دونه من المعاصي كما يدل عليه ظاهر الآية؛ إذ جعل قوله ﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾ في مقابلة قوله ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ﴾ بعد أن بيّن أن الأصنام أضلت كثيرا من الناس، فسياق الآية في الأصنام وعبادتها، ومن يتبع إبراهيم في تركها والإيمان بالله وحده، ومن يعصيه في ذلك، ومراده بالمغفرة والرحمةِ التوبةُ عليهم وهدايتُهم، لا غفران الكفر فإن الكفر لا يغفر بلا توبة[1].

٣- ظلت صفة الرحمة بالمدعوين ملازمة للأنبياء فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي صلى الله عليه وسلم: تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ﴾ [إبراهيم: ٣٦] الآية، وقال عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ **[سورة المائدة: ١١٨]** فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي»، وبكى، فقال الله عز وجل: «يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟» فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال، وهو أعلم، فقال الله: " يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك " رواه

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٣٤١/٣.

مسلم[1].

٣- ورثة الأنبياء وأتباعهم من أهل العلم والدعوة هم أولى الناس باقتفاء هذا المسلك النبيل.

٤- ليراجع الداعية نفسه ونيّته حين يكون طلب عقوبة العصاة أحب إليه من هدايتهم والتوبة عليهم، فقد يكون ذلك علامة على وجود حظوظ النفس وعدم التجرد.

٥- عفة اللسان وجميل الكلام هدي نبوي، قال قتادة: "﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ اسمعوا إلى قول خليل الله إبراهيم، لا والله ما كانوا طَعَّانين ولا لعَّانين، وكان يقال: إنّ من أشرّ عباد الله كلّ طعّان لعّان"[2].

---

(١) أخرجه مسلم: ١/١٩١ رقم (٢٠٢).

(٢) تفسير الطبري: ١٧/١٨.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف الممتع في رحاب هذه السورة المباركة أقف في خاتمتها لأبرز أهم النتائج:

١- ليس لسورة إبراهيم إلا هذا الاسم، ولا يُعرف لها غيره.

٢- تدور مقاصد سورة إبراهيم حول بيان وظيفة الرسل عليهم السلام وحرصهم على دعوة الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، في مقابل إعراض أقوامهم، تثبيتًا للنبي صلى الله عليه وسلم وتوعدًا للظالمين، وبيان أن هذا الكتاب العزيز هو مصدر النور والهداية الربانية، وهو غاية البلاغ إلى الله.

٣- حظ العبد من نور الحق والهدى والإيمان بقدر حظه من القرآن قراءة وفهماً وتدبراً وعملاً، فكلما كان حظه منه أوفر كان نصيبه من النور أعظم، وتقع الظلمة في قلب العبد بقدر هجره وإعراضه عن كتاب الله، والضلال ملازم لكل من لم يهتدِ بنور الله.

٤- أهم المشاريع وأولاها وأعلاها منزلة ما شرَّف الله رسله صلى الله عليهم وسلم بحمله من تبليغ الرسالة.

٥- استحباب الدنيا وتقديمها على الآخرة أصل من أصول الانحراف والضلال. وفي المقابل كلما كان المرء من الآخرة أقرب كان حظه من التوفيق قولاً وفعلاً أعظم وأوفر.

٦- تيسير التعلم والفهم سمة من سمات الشرائع السماوية؛ إذ كل رسول بلّغ قومه بلسانهم.

٧- ما من عبدٍ مؤمنٍ مهما بلغت رتبته في الدين واليقين إلا وهو محتاج لتثبيت الله، فليتبرأ العبد من حوله وقوته، وليعلّق قلبه بربه فلا حول ولا قوة إلا بالله، وأوفر الناس حظاً بتثبيت الله وتوفيقه هم أوفرهم حظاً من الإيمان.

٨- المؤمن الموفق يعتني بالتوحيد ويخاف أن يقع في الشرك، ومن يأمن البلاء بعد خليل الله إبراهيم عليه السلام حيث دعا ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾.

٩- قلوب الأنبياء عليهم السلام تفيض رحمة وشفقة بالمدعوين، وطلب هداية العصاة مقدم لديهم على طلب عقوبتهم.

١٠- البحث في موضوع الهدايات القرآنية بحث رحب ثري مفيد، يفتح فضاءً واسعاً للتدبر والاستنباط والاتعاظ والاعتبار والاهتداء بهدي القرآن الكريم وإرشاداته، والوقوف مع الهدايات القرآنية ودقائقها يجعل المعنى عميقاً راسخاً في النفس، مؤثراً في الفؤاد، وهذه إحدى

ثمار البحث في الهدايات القرآنية.

١١- أوصي بمزيد من الأبحاث حول الهدايات القرآنية، تأصيلاً وتطبيقاً لعظم أثرها ومسيس الحاجة إليها، كما أوصي بإفراد الهدايات القرآنية بمقرر مستقل في الدراسات العليا في تخصص القرآن وعلومه.

أسأل الله ينفعني بما كتبت وينفع به، ويجعله صواباً وذخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المصادر والمراجع

١) إرشاد العقل السليم لمزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢) أسماء سور القرآن وفضائلها: د منيرة الدوسري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط الأولى ١٤٢٦هـ.

٣) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

٤) تفسير القرآن: لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٥) التفسير القيم: لابن القيم، جمع وتحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٠هـ.

٦) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): للرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٧) التفسير المحرر للقرآن الكريم: إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، الظهران، ط الأولى ١٤٣٩هـ.

٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: سعد الصميل، دار ابن الجوزي، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

٩) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٠) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

١١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح: لأبي العباس بن تيمية، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
١٢) زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
١٣) سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.
١٤) صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٥) صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: للشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
١٧) القرآن تدبر وعمل: إعداد مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي، الرياض، ط الخامسة ١٤٣٧هـ.
١٨) لقاء الباب المفتوح: لابن عثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، القصيم، ط الأولى ١٤٣٨ هـ.
١٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ.
٢٠) المختصر في تفسير القرآن الكريم: تصنيف جماعة من علماء التفسير، إشراف مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط الثالثة ١٤٣٨هـ.

٢١) مسند أحمد: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٢٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: للبقاعي، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.
٢٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٢٤) الهدايات القرآنية دراسة وتأصيل: إعداد أ.د طه عابدين طه والدكتور ياسين بن حافظ قاري والدكتور فخر الدين الزبير علي، كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم، ط الأولى ١٤٣٨هـ.